تقرير

شوقي عشقوتي

الخليج والشرق الأوسط فوق "صفيح ساخن"
"معركة هرمز" تعيد رسم ميزان القوى ومعادلة التفاوض

الحرب التي بدأت تحت عنوان "البرنامج النووي الإيراني" تحولت في اتجاه اخر وعنوان جديد وعريض هو "مضيق هرمز". انها "معركة هرمز" التي ستعيد رسم معادلة القوة والتفاوض ولا رجعة فيها الى الوراء. انه المأزق الذي اعاد الامور الى نقطة الصفر ومربع الحرب والى ما قبل "مسار اسلام اباد"

خرجت إيران من الجولة الاولى للحرب في اذار الماضي منهكة ولكن في ظل وضع استراتيجي جيد، مع الحفاظ على نظامها وقدرتها العسكرية على تهديد المنطقة، في حين ان الولايات المتحدة لم تتمكن من تحقيق نصر حاسم ضدها، فيما قوضت الثقة في قدرتها على الحفاظ على دورها باعتبارها الضامن الوحيد للاستقرار في الشرق الاوسط. خرجت إيران من تحت الضربات وقد اثبتت أن في إمكانها تحويل الفوضى الاقتصادية الى سلاح ردع: اغلاق مضيق هرمز واستهداف دول الخليج ورفع كلفة الحرب الى مستوى لا تتحمله الاسواق طويلا.

من الواضح ان إيران هي التي بادرت الى "معركة هرمز" وإطلاق "الطلقة الاولى" في جولة قتال جديدة. اما الاسباب التي دفعتها الى ذلك فهي:

1- "فائض القوة" الداخلية التي رفدت النظام الإيراني بعد مراسم التشييع "التاريخي" للمرشد الأعلى السيد علي خامنئي. هذا التشييع لم يكن مجرد اجراء وحدث ديني شعبي بقدر ما شكل اعادة انتاج الصورة ورصيد النظام بعد الضربات القاسية التي تلقاها. ملايين الإيرانيين خرجوا لتكريم السيد خامنئي ورفعت شعارات انتقامية ضد الولايات المتحدة واسرائيل، وظهرت لافتات تستهدف الرئيس ترامب في مشهد هدف الى تأكيد استمرار التعبئة خلف ابن المرشد المؤسس ونهجه. حاول النظام الإيراني (ونجح) عبر هذه المشاهد من تقديم عرض قوة شعبي وعرض صور صمود واثبات انه لا يزال متماسكا وممسكا بزمام السيطرة داخل البلاد... وان الحملة الاميركية - الاسرائيلية فشلت، على الرغم مما احدثته من خسائر واعباء، في تحقيق أحد اهم اهدافها السياسية، والمتمثل بإضعاف التماسك الداخلي او احداث شرخ بين الدولة ومجتمعها او اضعاف قدرتها على الصمود. لا بل ان الالتفاف الشعبي حول النظام من شانه جعل القيادة الإيرانية أكثر ثقة وجرأة، سواء في ادارة العمليات العسكرية او في المفاوضات، في وقت كان فيه الرهان معقودا على ان الحرب ستستنزف ثقة القيادات السياسية بقدرة مجتمعاتها على تحمل الكلفة.

يبدو ان هامشا اوسع ينفتح امام القيادة الإيرانية لإدارة المرحلة المقبلة بارتياح أكبر. فالقيادة التي تستند الى قناعة بأن جبهتها الداخلية لا تزال متماسكة، تصبح اقل ميلا الى تقديم تنازلات استباقية، وأكثر استعدادا لإدارة صراع طويل الامد، اذا ما رأت ان عامل الزمن قد يعمل تدريجيا لمصلحتها. عندئذ، لا يعود الوقت عنصر ضغط عليها وحدها، بل قد يتحول الى عنصر ضغط على خصومها ايضا، ولا سيما في حال ترافق مع استمرار هشاشة اسواق الطاقة، وتزايد احتمالات اتساع التوتر الاقليمي.

2- عودة الرئيس الاميركي دونالد ترامب الى لغة التهديد والوعيد، محذرا إيران من انه سيكون مستعدا لإنهاء المهمة إذا لم يتم التوصل الى الاتفاق الذي يريده. في وقت تؤكد فيه واشنطن انها لا تريد تغيير النظام، لكنها تسعى الى انتزاع تنازلات حاسمة في شأن البرنامج النووي، ومخزون اليورانيوم عالي التخصيب. عادت إيران الى التلويح بالممر البحري الحيوي لتأكيد ان الحرب لم تسلبها القدرة على التأثير في حسابات واشنطن. وبإعادة التوتر الى واحد من اهم شرايين الطاقة في العالم، تشير طهران الى ان اي تسوية لا تراعي مصالحها ولا تأخذ في الاعتبار النفوذ المتزايد للحرس الثوري، ستظل معرضة للاهتزاز. وبينما تختبر واشنطن استعداد طهران لاتفاق نهائي، تختبر إيران بدورها حدود الضغط الاميركي، ومدى استعداد ادارة ترامب للمضي في مواجهة جديدة قد تبدأ من مياه الخليج.

3- تمسك إيران بورقة مضيق هرمز وحقها في في ادارة الملاحة البحرية في هذا المضيق والتحكم به على المستويين الامني والمالي.

التزمت إيران فقط (بموجب مذكرة التفاهم) تعطيل فرض أي رسوم مرور او تفتيش استثنائي للسفن التجارية لمدة 60 يوما، لكنها لا تزال تصر من الناحية الفنية على فرض مسارات محددة وطلب تصاريح مسبقة. كما ترى طهران ان انهاء الحصار البحري الاميركي ينبغي ان يترجم فورا بانسحاب القطع العسكرية الضخمة من مياه الخليج العربي ومضيق هرمز، وهو ما ترفضه واشنطن التي تمسكت بإبقاء بوارجها لضمان حرية الملاحة الدولية، وترفض اي اخلاء او تخفيف لوجودها قبل الوصول الى اتفاق نهائي، مما يثبت ان هذه الجبهة البحرية ما زالت قابلة للاشتعال عند اول احتكاك.

اضافة الى هرمز، تمسكت إيران بشروط واوراق اخرى لاستئناف مفاوضات الوضع النهائي، وتحديدا بالورقة اللبنانية، مشترطة وقفا كاملا وشاملا لكل العمليات العسكرية الاسرائيلية والانسحاب الكامل من الاراضي اللبنانية كبند اول لا مساومة عليه. وتدرك طهران أن أي اهتزاز في الخاصرة اللبنانية او استفراد بحزب الله هناك سيعني حتما انهيار التفاهم الاقليمي بأكمله، لذا تحاول جعل التهدئة في لبنان شرطا مسبقا للتهدئة في الخليج العربي.

4- الموقف الخليجي المتشدد في رفضه لأي ترتيبات إيرانية خاصة في شأن مضيق هرمز، والداعي الى تغيير جذري في سياسة إيران ونواياها تجاه الخليج، والتوقف عن كل اشكال الضغط والابتزاز. ترافق هذا الموقف مع عودة التوتر بين السعودية وإيران على جبهات عدة ممتدة من اليمن الى لبنان.

كان الرئيس الاميركي دونالد ترامب حاسما وحازما في الرد على "الاستفزازات" الإيرانية في مضيق هرمز، بأن وجه ضربات عنيفة، وبأن اعاد الحصار البحري على الموانئ الإيرانية، واعاد الحظر على النفط الإيراني والغى الترخيص الذي منح لإيران مع انطلاق المفاوضات. هذا الرد ادى عمليا الى اسقاط اعتقاد او تقدير ساد بقوة لدى الإيرانيين بأن ترامب في موقع ضعيف داخليا وخارجيا ولم يعد يريد الحرب ويريد اتفاقا بأي ثمن. كما ادى هذا الرد الى اسكات معارضي ترامب ومنتقديه داخل الولايات المتحدة الذين اخذوا عليه انه اعطى طهران اموالا وسلطة على مضيق هرمز من دون اي يأخذ منها تنازلا جوهريا في الملفات الاساسية واولها الملف النووي. لكن إيران التي

> **النظام الإيراني اكتسب تفويضا شعبيا بعد الجنازة التاريخية للمرشد المؤسس**

صدمت بحجم الرد الاميركي ولم تتوقعه، مصممة على مواصلة ما بدأته في مضيق هرمز، وليس امامها من خيار آخر ومن ورقة تفاوضية اهم. هذا المضيق وضع المواجهة في نطاق ضيق ومعقد، وبات يختصر معادلة التفاوض وميزان القوى في المرحلة المقبلة.

تريد إيران ترتيبات جديدة تمنحها حق تحديد كيفية دخول السفن وخروجها، ومنع أي سفينة تشتبه في تهديدها لأمنها، وفرض رسوم على خدمات الزامية تقدمها. ولن تقبل طهران العودة الى الوضع السابق للحرب. كما ترى ان نجاتها من الحرب مع الولايات المتحدة واسرائيل منحتها فرصة تاريخية لفرض مكسب طويل الامد.

وتعتقد ان الدول المالكة للسفن ستقبل في النهاية بإدارة طهران للمضيق بسبب ارتفاع كلفة النزاع، وان واشنطن ستتراجع لضمان استمرار امدادات الطاقة. بالتالي، لا تبدو التحركات الإيرانية الاخيرة في مضيق هرمز مجرد خلاف تقني على خطوط الملاحة، بل محاولة لإعادة رسم موازين القوة التي ستدار على اساسها المفاوضات مع الولايات المتحدة. فطهران، المتمسكة بان تكون صاحبة الكلمة الاساسية في تنظيم العبور، تدرك ان التخلي عن هذه الورقة قبل اتفاق نهائي قد يحرمها من اهم مصدر ضغط على واشنطن ودول المنطقة والاسواق العالمية. وستظل متمسكة بحقها في ادارة مالية وامنية منفردة لمضيق هرمز، ولن تتخلى عن هذا الحق مهما اشتدت الضغوط الاميركية العسكرية، بعدما اكتشفت إيران انها تمتلك "قنبلة نووية اقتصادية"، وان هرمز اهم من اي قنبلة نووية لأنه يتيح لها التحكم باقتصاد العالم وامتلاك نفوذ اقليمي وورقة ضاغطة على الاميركيين يمكن ان تكون اهم الاوراق وآخرها.

في المقابل، فان ترامب عاد الى التصعيد والضغوط القصوى من خلال ضربات قوية تركز على ◄

سواحل إيران المطلة على هرمز، وتستهدف شل قدراتها على التحكم بالمضيق والسيطرة على امنه، وحركة العبور والملاحة فيه. وارفق ذلك بإعادة الحظر على بيع النفط الإيراني واعادة الحصار البحري على الموانئ الإيرانية. والتصعيد الاميركي يمكن أن يذهب الى مستويات اعلى ومراحل متقدمة أكثر في ظل المتغيرات الحاصلة.

اولا، في الموقف الدولي الذي ظهر في قمة انقرة لحلف شمال الاطلسي وبات متفهما للحرب الاميركية ومؤيدا لهدفها الاساسي في فتح مضيق هرمز. ثانيا، عند الرئيس ترامب الذي أدرك ان التنازلات التي قدمها لإيران لم تنفع في تغيير سلوكها وتقديم تنازلات جوهرية، وان الرهان على صراع محاور داخل النظام بين معتدلين ومتشددين وعلى وجود عقلاء وبراغماتيين لم يكن رهانا في محله.

لذلك، فان الضغط الاميركي العسكري هدف الى دفع إيران للتنازل عن مضيق هرمز والالتزام بشكل علني ورسمي بحرية الملاحة فيه وبالخضوع لقواعد القانون الدولي. هذا ما لن تفعله طهران، وما لن تحصل عليه واشنطن التي لا يمكنها تجاوز مسالة هرمز واهمالها، والتي تتشجع بوجود تحول في الموقف الدولي، لا سيما

> **"مضيق هرمز" عنوان الحرب الجديدة ومفتاح العودة الى اتفاق جديد**

داخل حلف شمال الاطلسي وعند الاوروبيين، وفي اتجاه دعم موقف ترامب والاستعداد للدخول في تحالف دولي ضد إيران اذا استمرت في سياسة اغلاق المضيق، وفي اظهار رغبة التحكم به مستقبلا.

مع تآكل ظروف الاتفاق النهائي ومقوماته، يبرز احتمالان:

- الاول: العودة حالة "اللاحرب واللاسلم". حالة اللاحرب التي تعني عدم العودة الى الحرب الواسعة والبقاء في النمط الحالي من ضربات موضعية محسوبة. وحالة اللاسلم التي تعني عدم الذهاب الى الاتفاق والبقاء في نطاق مفاوضات متقطعة وغير مباشرة. العودة الى حالة "اللاحرب واللاسلم"، تعني انه من الممكن ان ينشأ مساران متوازيان: تفاوضي وعسكري، ومن الممكن ان لا تستمر المفاوضات، لا سيما وان ما من قواسم مشتركة في هذه المفاوضات، فإيران تريد السيطرة على مضيق هرمز، وترامب يرفض ذلك، كما ان إيران تريد المماطلة بالملف النووي، وترامب يعارضه، مما يجعل التفاهم بينهما بالغ الصعوبة. ولكن من المستبعد حصول تصعيد واسع، ذلك ان ترامب لن يعود الى الحرب الكبرى، لقناعة لديه بأن مثل هذه الحرب لم تؤد الى النتائج التي كان ينشدها، كما انه لا يرى ان الحرب الكبرى ستكون لصالحه، وهو يفتش الآن عن مخرج. اما عن حالة اللاسلم فهي تعني بقاء العقوبات الاميركية على إيران، وقد الغت اميركا بالأمس السماح بتصدير وبيع النفط الإيراني، وبالتالي العودة الى المرحلة التي سبقت هذه الحرب، بمعنى ان الضغوط الاميركية ستستمر على إيران، كما من الممكن ان نشهد استمرارا للإيقاع الحربي، لان اميركا لن توافق على ان تسيطر ايران على مضيق هرمز. وقد يتجه الوضع نحو ستاتيكو جديد ولوقت طويل، لان إيران ليست مهتمة بعقد اتفاق مع اميركا، انما اولويتها السيطرة على مضيق هرمز.

- الثاني: تدحرج الوضع وفي ظل انسداد الافق السياسي، في اتجاه الحرب الواسعة التي تبدأ عمليا من النقطة التي كانت توقفت فيها الحرب الاميركية في نيسان الماضي، وبالتالي الذهاب في الجولة القادمة الى ما هو أكثر من ضربات وغارات جوية، الى عمليات برية محددة في اطارها واهدافها لرفع درجة الضغوط وتسريع عملية الحسم، مثل الاستيلاء على جزيرة خرج النفطية الاستراتيجية.

الحرب استؤنفت من حيث توقفت في نيسان الماضي ومفتوحة على تصعيد وتوسع. فترامب أعلن سقوط مذكرة التفاهم مع إيران، والإيرانيون يؤكدون مجددا وبالسلاح والصواريخ ان ادارة مضيق هرمز في يدهم. ولعل مشاهد تشييع المرشد وما رافقها من تصريحات اكدت لأميركا والغرب واسرائيل ان إيران تتصرف من موقع المنتصر، وأنها لن تقدم أي تنازلات فعلية. وإذا اراد ترامب فعلا العودة الى حرب واسعة تتخطى كل ما رأيناه سابقا، ستكون مغامرة كبرى لأن إيران سترد ايضا بتوسيع الحرب.

منكن وفيكن
من الـ 1953
لبنان
أباً عن جدّ
Le Charcutier